مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 18 العدد: 01 السنة 2026 ص 119 - 137

تاريخ الإرسال: 2026/02/18 تاريخ القبول: 2026/04/30
تاريخ النشر: 2026/05/23

الذكاء الاصطناعي وإشكاليات الوعي والسيادة الرقمية
ـ قراءة فلسفية سوسيولوجيةـ

Artificial Intelligence and the Dilemmas of Consciousness and Digital Sovereignty
-Sociological Reading A Philosophical-

د. بلعيساوي الطاهر
جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل (الجزائر)، belaissaoui.t@univ-jijel.dz

ملخص:

تسعى هذه الورقة إلى تقديم قراءة فلسفية وسوسيولوجية للذكاء الاصطناعي، ليس كمجرد تقنية، بل كقوةٍ فاعلة يحتمل أن تعيد تشكيل الحدود الأنطولوجية والاجتماعية للعلاقة بين الإنسان والآلة في وقت بدأت فيه الأخيرة تزداد استقلالاً وهيمنة.

ينطلق البحث من منهج نقدي لتفكيك العقل الأداتي الذي يحصر الوجود البشري داخل أطر تقنية، ويحول الأفراد إلى بيانات خوارزمية قابلة للتنبؤ، كما يتتبع البحث أثر هذه التقنيات على شبكة التفاعل الاجتماعي، من خلال رصد تحول الفعل الاجتماعي إلى نماذج مبرمجة تفتقر إلى العفوية، مما قد يؤدي إلى فقدان التوصل لقيمته الوجدانية وأصالته التعبيرية، وصولا إلى سيناريوهات AI وما تثيره من تساؤلات وجودية حول إمكانية تمسكها بحرية إرادة الإنسان.

توصلت الدراسة إلى أن الخطر الحقيقي يتمثل في نزع الصفة الإنسانية عن الذكاء واختزاله في عمليات حسابية، ففي مقابل هذا الاختزال، يظل الوعي البشري – من المنظور الذي تتبناه الورقة– قيمة فريدة ترتكز على خاصية الشهود والقدرة على منح المعنى، وهي أبعاد قد تعجز المحاكاة الرقمية الى بلوغها.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الذكاء الاصطناعي، السيادة الرقمية، الأنطولوجيا الرقمية، الوعي الاصطناعي.

Abstract:

This paper offers a philosophical and sociological reading of Artificial Intelligence AI as an active force potentially reshaping the ontological and social boundaries between humans and machines. Adopting a critical approach, it deconstructs instrumental reason, which tends to reduce human existence to predictable algorithmic data and transform spontaneous social action into semi-programmed patterns, potentially diminishing emotional authenticity and raising questions about free will.

The study concludes that the deepest risk lies not in AI's capabilities, but in the reduction of intelligence itself to mere computation. From the perspective adopted here, human consciousness retains a unique value rooted in 'witnessing' (shahud) and the capacity for meaning-making-dimensions that digital simulation, at least in its current state, cannot replicate.

The paper recommends a shift from technological consumption to critical knowledge, working to preserve human cognitive sovereignty as an anchor for values in a world where algorithms are reshaping social reality.

Keywords: Philosophy of AI, Digital Sovereignty, Digital Ontology.

المؤلف المرسل: د. بلعيساوي الطاهر، **الإيميل:** belaissaoui.t@univ-jijel.dz

1.مقدمة:

يواجه العالم اليوم تحولات تتزامن مع تطور الذكاء الاصطناعي كأحد المحركات الرئيسة لإعادة تشكيل الأطر الاجتماعية، وأنماط الإنتاج، ومنظومات صنع القرار. فلم يعد هذا المفهوم مجرد فرضية نظرية، بل أصبح واقعا يتغلغل في مختلف مفاصل الحياة المعاصرة؛ بدءا من التطبيقات الخدماتية اليومية وصولا إلى أنظمة تحليل البيانات الضخمة.

هذا التغلغل التقني المتسارع يفرض على الفكر النقدي اقتحام مساحات تتجاوز الجوانب التقنية، ليتعمق في صميم الفلسفة والأخلاق وماهية الإنسان. فقد جاء العلم الذكي على حد تعبير محمود حيدر ليطرح تحديا جوهريا على التساؤل الفلسفي التقليدي، مقاربا الإجابة عن الصلة الغامضة بين الفيزياء والميتافيزياء، ومجددا البحث حول القوانين الحاكمة للطبيعة وما بعدها.[1]

فلم يعد الذكاء الاصطناعي ينظر اليه كآداة محايدة فحسب، بل أصبح كيانا يملي شروطا جديدة للتفاعل الإنساني، ويثير تساؤلات وجودية عن مكانة الإنسان في عالم يعج بكيانات غير بيولوجية قد تتزايد ذكاء واستقلالية يوم بعد يوم. إن هذه اللحظة المفصلية تستدعي تأملا فلسفيا ونقدا سوسيولوجيا.

تحاول هذه الورقة البحثية تقديم قراءة فلسفية سوسيولوجية لكيفية تعاملنا مع ظاهرة الذكاء الاصطناعيAI، مستشرفة الآفاق المستقبلية ومحللة التداعيات الجوهرية على الوجود الإنساني وطبيعة الواقع. ولتحقيق هذا الهدف، تعتمد الورقة منهجا فلسفيا يمزج بين التحليل النقدي، والإطار الفينومينولوجي، والتأمل الأخلاقي.

كما يستند أيضا إلى منهج تحليلي نقدي، حيث يقوم بتفكيك الإطار المفاهيمي لمصطلح الذكاء الاصطناعي، وفحص مختلف الأطروحات الفلسفية المختلفة التي تناقش قدراته وحدوده وآثاره.

كما سيتم التركيز على الظواهر المرتبطة بالتفاعل الاجتماعي مع الأنظمة الذكية، محاولة منا الوصول إلى فهم لما يشكله الذكاء الاصطناعي كظاهرة وجودية مستقلة أو مدمجة في نسيج وجودنا. إضافة الى ذلك، ستتضمن الورقة البحثية سيناريوهات العلاقة بين الانسان والذكاء الاصطناعي. ومحاولة بناء إطار نظري يمكننا من تقييم التطورات التكنولوجية من منظور قيمي. ومن هنا يبرز لنا التساؤل الرئيسي: في ضوء السيناريوهات المحتملة للعلاقة بين الإنسان والذكاء الاصطناعي، كيف يمكن للبشرية أن توفق بين خصوصية وعيها وحتمية تغير هويتها وسيادتها في عصر الذكاء الاصطناعي؟

2. تطور مفهوم الذكاء الاصطناعي:

يتمحور جوهر التطور التكنولوجي المعاصر حول محاولة بناء عالم رقمي موازٍ ومثالي للإنسان، يقدم له خدمات جليلة، حيث يجد فيه من ينوبه في التفكير والعمل والتصرف والإنتاج ومواجهة الأخطار والتهديدات، وهو الأمر المتاح في عالم الذكاء الاصطناعي الذي أصبح مجالا علميا معاصرا موضوعه إنتاج الذكاءات أو بالأحرى محاكاة الذكاء البشري (الطبيعي) ، وضمن هذا المفهوم عرف الذكاء الاصطناعيّ حسب ما ورد في وثيقة صادرة عن منظمة اليونسكو بعنوان: "الذكاء الاصطناعي والتعليم، إرشادات لواضعي السياسات: "الذكاء الاصطناعي فرع من العلوم والتكنولوجيا يهدف إلى استكشاف أسرار الذكاء البشري من ناحية وزرع الذكاء البشري في الآلات قدر الإمكان من ناحية أخرى، بحيث تكون الآلات قادرة على أداء الوظائف بذكاء قدر استطاعتها"[2]

ولد مصطلح الذكاء الاصطناعي تحديدا عام 1956 في خلال أعمال المؤتمر الصيفي بكلية دارتموث الأمريكية. لكن الميدان العلمي كان قد تحدد عمليا قبل ذلك. ولعل رؤية "آلان تورينغ" هي الأشد تأثيرا وشهرة في هذا المجال؛ اذ يعتبر "آلان تورينغ " Alan Turing المؤسس الأول لمجال الذكاء الاصطناعي لأنه وضع الأسس التي يمكن من خلالها بناء الحاسوب، إذ نشر في عام 1936 أن كل عملية حسابية يمكن تنفيذها باستخدام نظام رياضي يبني ويعدل مجموعات من الرموز الثنائية باستخدام "0 "و "1 "خاصة بعد تمكنه من فك الشفرة في بلتشي بارك أثناء الحرب العالمية الثانية ضد النازيين التي كتبتها آلة تدعى " الانغما " Engima أي اللغز، فاستطاع بذلك بناء آلة تفك شيفرة النازيين وسميت بآلة "بومبي Bombe،"فبقي يفكر في كيفية تصميم تلك الآلة التي ستعمل بذكاء .لم يبقى تورينغ يطرح أسئلة إذا ما كان بوسع الآلة أن تفكر فقط بل قام بصنع آلة تسير وفق خوارزمية معينة وتعتمد على الرموز المنطقية لتستطيع حل المشكلات. [3]

لقد ظل اختبار تورينغ في صميم دراسات الذكاء الاصطناعي ونقاشاته الأساسية. ومع أنه من زاوية فلسفية –لا مقال تورينغ عام 1950 ولا مؤتمر دارتموث عام 1956 –كانا قريبين فعليا من بداية الذكاء الاصطناعي، فلم يتردد الباحثون في هذا المجال منذ البداية في تقديم تنبؤات عن إنجازاته المقبلة. على سبيل المثال، يصرح "هربرت سايمون" عام 1957 ويقول: «أن هناك اليوم في العالم آلات تفكر، وتتعلم، وتولد. بل إن قدراتها على القيام بذلك في ازدياد، حتى أنه في المستقبل القريب ستصبح المسائل التي تديرها هذه الآلات مساوية في مداها للمسائل التي يديرها العقل البشري». والواقع أن ثقة سايمون هذه استندت إلى نجاحات أولية في مسائل بسيطة، لكن غالبية هذه النظم كانت مهيئة بالفشل لدى مواجهة قضايا أوسع وأعقد. مع مرور الوقت، وجهت انتقادات واسعة إلى البرامج الأولى، خصوصا

لعدم قدرتها على التفاعل بذكاء في بيئات متنوعة. أبرز المنتقدين الفيلسوف الوجودي "هربرت دريفوس"، الذي رأى أن الآلات لن ترقى أبدا إلى مستوى المهارة الإنسانية. وقد أظهرت الفجوة بين التنبؤات المتفائلة الأولى، والواقع أن إيرادات صناعة الذكاء الاصطناعي التي بلغت مليارات الدولارات بحلول أواخر الثمانينات، سرعان ما دخلت ما سمي شتاء الذكاء الاصطناعي، حيث تهاوت الشركات لعجزها عن تحقيق وعودها المبالغ فيها.[4]

في منتصف الثمانينات، انتقل الذكاء الاصطناعي من الصراع بين المدرستين الرمزية والترابطية إلى التكامل بينهما، ليركز حالياً على الجدل حول قدرة الآلات على تحقيق وعي ذاتي.[5]

3.النظريات الفلسفية المؤسسة لفهم الذكاء الاصطناعي:

1.3مارتِن هايدغر وسؤال التكنولوجيا

يشكل السؤال عن التكنولوجيا في منظومة "هايدغر"Heidegger الفكرية استفسارا عميقا عن طبيعة الفكر الذي خيم على أنحاء الحياة البشرية في عصرنا. ولا نبالغ لو قلنا باستحالة التعرف على العالم الراهن الذي يشكل التفكير التكنولوجي أحد أركانه الرئيسية من دون التأمل في حقل التكنولوجيا.

فيما يتعلق بالسؤال عن التكنولوجيا، يسعى هايدغر لإظهار الرؤية التكنولوجية من خلال السؤال عن ماهيتها. وفي هذا الإطار، يؤكد على إقامة نسبة حرة معها، ويقول في هذا الصدد:"إننا نعمل على طرح السؤال بشأن التكنولوجيا، ونسعى من خلال ذلك لإقامة نسبة حرة معها. هذه النسبة إنما تكون حرة من حيث إنها تضع وجودنا البشري في معرض الماهية التكنولوجية."[6]

ينطلق الفيلسوف "مارتن هايدغر" في "سؤال التكنولوجيا" من أن ماهية التقنية ليست مجرد وسيلة أو أداة، بل هي طريقة للكشف وتجل للحقيقة (اللاخفاء). ولكن،

في شكلها الحديث، تغدو التقنية أيديولوجيا تحصر الطبيعة والإنسان داخل إطار "الغشتل" Gestells، حيث يصبح الموجود –بما في ذلك الإنسان –مجرد مستودع للطاقة ومادة للاستخدام. ويرى هايدغر أن هذا التحول يؤدي إلى تقييد حرية الإنسان واغترابه. كما ينتقد هايدغر النزعة الإنسانية لأنها تقع ضمن دائرة الميتافيزيقا إلى جانب التقنية؛ إذ أنها تركز على الإنسان وتنسى حقيقة الوجود. والخلاص من هذا الخطر –من منظور هيدغر–ليس بالتخلي عن التقنية، بل بإعادة ترشيد استعمالها ومواكبتها دون أن يكون ذلك على حساب القيمة الروحية للإنسان.[7]

يمكن اسقاط هذا المفهوم على الذكاء الاصطناعي؛ إذ يتجسد "الاستئطار" Gestell" في كون هذه الأنظمة، باعتمادها على جمع البيانات الضخمة، تعمل على تحويل التجارب الانسانية، والمشاعر، وحتى القرارات، إلى موارد قابلة للقياس والمعالجة والتحليل. وهنا يظهر لنا الخطر الفلسفي؛ أن يتعرض العقل البشري لسبات بطيء يضعف قدرته على التفكير العميق. في هذا الواقع تخفت ملكات التأمل والخيال والابتكار، ويضمر الحس النقدي، وتتراجع قدرة الإنسان على توليد المعنى من رحم التجربة والمعاناة. بالاعتماد المتزايد على الآلة يضعف حضور العقل، ويغدو التفكير أقرب إلى استهلاك جاهز للمعطيات، لا مغامرة وجودية تبحث عن المعنى. هكذا يتهدد الإنسان بفقدان صلته الحيّة بسؤاله الوجودي، حين تستبدل معاناة التفكير بيسر الإجابة، ويختزل العقل إلى وظيفة أداتية لا تعرف قلقه، ولا تحتمل مشقة السؤال والتفكير التأملي العميق.[8]

2.3 نِيك بوسْتروم والذكاء الفائق

يركز منظور الفيلسوف نيك بوستروم" Nick Bostrom" بشكل أساسي على المستقبل البعيد للذكاء الاصطناعي، معرفا "الذكاء الفائق" بأنه أي عقل يتجاوز أداء أذكى العقول البشرية في كل المجالات تقريبا.[9]

يحذر بوستروم من أن ظهور هذا الذكاء قد يشكل مخاطر وجودية تهدد بنفاد الإمكانات الطويلة الأجل للحضارة؛ إذ تتمحور فكرته الرئيسة حول مشكلة التحكم والمواءمة: وهي كيف نضمن أن أهداف النظام الاصطناعي الفائق ستكون متوافقة مع قيمنا ومصالحنا البشرية، لأن الذكاء ليس مرادفا للحكمة الأخلاقية. وبالتالي، فإن السبب الجوهري الذي يدعو إلى تأطير تعاملنا مع هذا التطور أخلاقيا ووجوديا يكمن في أن الخطر الأعظم ليس في أن يصبح الذكاء الفائق شريرا بالضرورة، بل في أن تكون أهدافه غير متوافقة مع القيم الإنسانية الجوهرية، مما يهدد وجودنا نفسه بتحويل الكوكب وموارده، بما في ذلك البشر، إلى مخزون ثابت –وهي الفكرة التي تطرق اليها هايدغر كما ذكرناها سابقا–يخدم هدف الآلة. هذه المخاطر الوجودية، الناتجة عن احتمال حدوث انفجار ذكائي يؤدي إلى التفرد التقني، تفرض على الفلسفة السعي نحو بناء إرادة مستقرأة متماسكة كإطار قيمي، لضمان أن الآلة لا تحقق أهدافها الخاصة فحسب، بل تحقق ما يريده البشر حقا لو كانوا في أوج حكمتهم وأخلاقهم. بالإضافة إلى ذلك، يتناول بوستروم آثار الذكاء الاصطناعي الحالي التي تتجلى في إمكانية تعزيزه لأشكال المراقبة والنظم الاستبدادية، ويشدد على أن التحدي الفلسفي يدعو لضرورة التخطيط المسبق والبحث الجاد لتطوير ذكاء اصطناعي آمن ومتوافق قبل وصوله إلى مستوى الفوقية.[10] وبهذا، يلتقي تخوف بوستروم من احتمال حدوث انفجار في قدرات AI مع توصيف ميشال فوكو لـ آليات الضبط الاجتماعي؛ فالذكاء الفائق لن يكون فقط قوة حسابية، بل سيصبح السلطة القصوى التي تعجز البشرية عن مساءلتها أو الانفلات من معاييرها.

ومن هذا المنطلق ينقلنا الذكاء الاصطناعي أيضا من مجتمع الانضباط الذي وصفه فوكو الى مجتمع الرقابة الخوارزمي. حيث لا تمارس سلطة الضبط هنا عبر المؤسسات الاجتماعية الرسمية والغير رسمية، بل من خلال آليات تنبؤية قادرة على

تحليل السلوك قبل وقوعه. هذا النمط الجديد من الضبط الاجتماعي قد يحول الأفراد إلى موضوعات رقمية قابلة للتنبؤ، كما أوضحت شوشانا زوبوف في كتابها "عصر رأسمالية المراقبة". [11]

3.3 دونا هاراواي " Donna Haraway"و"مانيفستو السايبورغ":

تقدم لنا الفيلسوفة والمنظرة النسوية "دونا هاراواي" في "مانيفستو السايبورغ" "A Cyborg Manifesto" نقدا راديكالي لأسس الفكر الغربي من خلال تقديم مفهوم السايبورغ كـ "كيان هجين" وميثاق سياسي يعيد تعريف معنى الإنسانية. يعرف هذا الكيان نفسه بإلغاء الثنائيات التقليدية القمعية، مثل الإنسان والآلة، الطبيعة والثقافة، الجسد والعقل، ليؤكد أننا جميعا نتداخل مع التكنولوجيا بشكل لا يمكن فصله، مما يفضي إلى هوية غير أحادية وأكثر سيولة. ولا ينظر إلى السايبورغ كتهديد، بل كفرصة للتحرر من المفاهيم المقيدة للجنس والعرق التي فرضها السرد التاريخي المتمركز حول وجه الرجل الأبيض. وتسهم أفكارها في فهم الذكاء الاصطناعي بتسليط الضوء على القدرة على كسر ثنائية الإنسان والآلة، مع الدعوة إلى تبني المعرفة المتموضعة التي ترفض الموضوعية المطلقة وتؤكد على امتياز المنظور الجزئي لصياغة أخلاق مسؤولة تواجه "الإنفورماتكية الهيمنية" وتتجه نحو مستقبل ما بعد الإنسان يتسم بالعدل والتحرر [12]

4. ديالكتيك الإنسان والآلة:

يعد الذكاء الاصطناعي في المنظور السوسيولوجي المعاصر قوة إستراتيجية تقود جولة جديدة من الثورة التقنية، حيث يعمل كمحرك للتحول من النمو القائم على الاستثمار إلى النمو المدفوع بالابتكار. ومن الناحية الاقتصادية، ينذر هذا التحول بحدوث انزياح بنيوي في سوق العمل نتيجة خلق قوة عمل افتراضية تنافس الجهد البشري، تشير بعض التقديرات إلى احتمال فقدان نحو 800 مليون موظف

لوظائفهم، مقابل خلق وظائف جديدة، غير أن هذه العملية قد تؤدي إلى بطالة هيكلية.[13]

انطلاقا من المقاربة الماركسية الكلاسيكية، يتبلور لنا واقع اجتماعي جديد يتجاوز مجرد فقدان الوظيفة إلى نشوء تراتبية طبقية جديدة يمكن تسميتها بـ البروليتاريا الرقمية –[14]؛ وهم أعداد ضخمة من العمال الذين يقومون بمهام تقنية روتينية مجهدة –ومثال على ذلك ما يعرف بالذباب الإلكتروني–في ظل ظروف تفتقر إلى الأمن القومي. وفي المقابل، تتشكل أرستقراطية تقنية تهيمن على مفاتيح الإنتاج المعرفي وخوارزميات السيطرة. إن هذا الانقسام لا يعيد إنتاج الصراع الطبقي التقليدي، بل يضيف إليه بعدا أنطولوجيا؛ حيث تتسع الفجوة بين من يملك السيادة البرمجية ومن يخضع لإملاءاتها، مما يحول الوجود الاجتماعي إلى نموذج يقوم على الاغتراب الرقمي الشامل.

وبموازاة ذلك، تحدث أتمتة التواصل تغييرا في البنية اللغوية والاجتماعية؛ إذ تتسبب نمذجة اللغة في فرض قوالب معيارية تفقد النصوص بصمتها الإبداعية الفردية، كما يعمل التنبؤ النصي على اختزال الثراء اللفظي لصالح جمل نمطية جاهزة. أما اجتماعيا، فإن أتمتة التواصل تقلل من القيمة العاطفية للتفاعلات البشرية، وتخلق ما يسمى بـ غرف الصدى التي تعزز الانعزال الفكري وتضعف مهارات الحوار مع الطرف الآخر المختلف، مما ينقل المجتمع من حالة التفاعل العفوي إلى حالة التفاعل المبرمج.[15]

فمن وجهة نظر نقدية وقراءة بعض أفكار النظريات السوسيولوجية يمكن القول أن AI قد يحدث تحولا جذريا في بعض أفكار رواد نظرية الفعل الاجتماعي أمثال بارسونز وماكس فيبر وغيرهم؛ فالتفاعل لم يعد يقتصر على أفراد يتبادلون المعاني، بل أصبح تفاعلا هجينا يتوسطه الفاعل الخوارزمي. هذا الفاعل الجديد لا

يكتفي بنقل الرسائل، بل يقوم بـ هندسة التوقع الاجتماعي عبر تحليل البيانات السلوكية،[16] مما يؤدي إلى تحول المجتمع من حالة العفوية التفاعلية إلى حالة التوجيه السلوكي. ويتجلى هذا التهديد في تقويض الفضاء العام بمفهوم هابرماس؛ حيث تعمل الخوارزميات على تفتيت الفضاءات العمومية إلى فقاعات إدراكية معزولة، مما ينقل المجتمع من حالة الإجماع العقلاني إلى حالة الاستقطاب الرقمي.

تتصدر هذه التحديات قضايا الشفافية والتحيز الخوارزمي، مما يفرض تبني مبادئ القيم الأخلاقية كالإحسان والاستقلالية والمساءلة[17] كما يمتد التأثير ليمس الجسد البشري عبر الأطراف العصبية، مما يثير قلقا حول فجوة القدرات والعدالة الاجتماعية، ويطرح تساؤلات فلسفية حول الحرية المعرفية وضرورة حماية الوعي من الاختراق التقني، مما يجعل الثقة والشفافية حجر الزاوية لضمان دمج عادل للذكاء الاصطناعي في بيئات العمل والحياة اليومية.[18]

5. سيناريوهات العلاقة بين الإنسان والذكاء الاصطناعي:

1.5. التعايش والتكامل:

يتصور هذا السيناريو مستقبلًا يقوم على التعايش السلمي والتكامل البنّاء بين الإنسان والذكاء الاصطناعي، حيث يصبح هذا الأخير شريكًا داعمًا للقدرات البشرية، وأداةً لحل المشكلات، ووسيلةً للارتقاء بجودة الحياة والرفاهية. تنطلق هذه الرؤية من مبادئ فلسفية تجعل الكرامة الإنسانية في صدارة الاهتمام، بحيث يُوجَّه التحول الصناعي والتقني ليكون محفزًا للإبداع البشري لا بديلًا عنه.[19] وفي هذه المرحلة، نحن في حاجة ماسة الى وضع ضوابط أخلاقية وقانونية تضمن الأولوية للقيم الإنسانية، وأن يحافظ الإنسان على سيطرته ومصيره، بما يحمي وكالته الحرة من التآكل أمام سلطة الخوارزميات التي تزداد يوما بعد يوم في النمو والتطور.[20]

ويذهب "سميتانا"، مدير معهد بحوث الذكاء الرقمي في موسكو، إلى أن نجاح هذا المسار يعتمد كلياً على فك شفرة معضلة القيم. فالتكامل الحقيقي مع الآلة لن يتحقق بمجرد إطاعتها للأوامر، بل في قدرتها على استيعاب المقاصد الأخلاقية العميقة التي تسكن خلف تلك الأوامر؛ وذلك لضمان ألا تصبح كفاءة الآلة الخارقة، وعن غير قصد، سبباً في تقويض الرفاه البشري وتدميره.[21]

2.1.5 ما بعد الإنسانية والارتقاء الوجودي:

يقدم لنا هذا السيناريو رؤية مغايرة تماماً للمعايير الإنسانية التي عرفناها؛ إذ تنظر هذه الفلسفة إلى الذكاء الاصطناعي وواجهات الدماغ الحاسوبية كأدوات للعبور نحو ما بعد الإنسان. الهدف هنا ليس مجرد التحسين، بل هو ثورة على الموت والمحدودية، عبر السعي لدمج الوعي بالآلة وتحويل الكيان البشري إلى وجود رقمي عابر للزمن، وهو ما يعيد تعريف مفهوم الحياة ذاتها.

يرى الفيلسوف ادغار موران بأن العالم يعيش في أزمة حالية ومصير مجهول يحمل الكثير من التناقضات ذلك أن العالم يعيش تطور مقابل التقهقر وفي نفس الوقت يشهد ثورة في مقابل أزمة ونفس الموقف اتخذه هانس جوناس Jonas Hansمن خلال قوله: فقوة التمييز أو البصيرة عند الانسان قد انحرفت ذلك أن الانسان لم ينجح في التحرر من الضغط الذي تعرض له إذ غير الاعتداء التكنولوجي على الطبيعة كليا بسبب الاستغلال البشع لها وخصوصا في المجتمعات الصناعية الغربية ليس معنى هذا أن الأرض في خطر فقط ولكن غنى أنواعها الطبيعية التي عملت على جعلها فقيرة بشكل مرعب" فالتقنية الحديثة أنتجت أفعال وسلوكيات جديدة أفرزت موضوعات غير معروفة ونتائج غير متوقعة. [22]

إن هذا الاندماج العضوي التقني لا يعد بتوسيع نطاق الإدراك فحسب[23]، بل يثير أسئلة جوهرية حول معنى أن نكون بشرا، وحدود الكينونة الإنسانية، وطبيعة

الهوية الشخصية في عصر يمكن فيه إعادة تعريف الإنسان وتشكيله بشكل جذري. وهنا يبرز، من منظور إنساني، ما يمكن اعتباره مأزقًا أنطولوجيًا؛ فإذا استبدلت الفطرة –بالمعنى الوجودي–بالخوارزمية، فإن من يتبنى هذا المنظور قد يرى في ذلك خطر نفي ما يعتبره الماهية الروحية لصالح نمذجة آلية لا تدرك جوهر الوعي البشري.[24]

ويؤصل "سميتانا" لهذا التحول باعتباره يمثل المرحلة الرابعة من مراحل تطور الإنسان؛ حيث في هذه المرحلة، يتوقف التطور عن كونه عضويا بيولوجياً ليصبح أكثر تقنيا، حيث يمكن للوعي أن يتحرر من قيود الجسد والزمن. اذ يرى أن نشوء الوعي الرقمي أو التقني ليس مجرد طفرة تقنية، بل هو ضرورة وجودية لانتقال البشرية من طور البيولوجيا المحدودة إلى طور الإدراك الفائق. إلا أن هذا الارتقاء يطرح مأزقا أنطولوجيا حول صون الماهية البشرية في ظل ذوبان الفواصل بين الذات والآلة.[25]

3.1.5 الهيمنة أو التجاوز:

يرسم لنا هذا السيناريو –وهو أحد الاحتمالات وليس حتمية–صورة أقل تفاؤلا لمستقبل البشر، حيث لم يعد الإنسان مركز العالم ولا المعيار الأعلى للحقيقة، بعدما اقتحمت الآلة أعمق وظائف التفكير، ونازعت العقل في ميادين طالما ظنها امتدادًا طبيعيًا لخصوصيته. نعيش اليوم عصر اللايقين والمفاجآت، عصرًا انقلب فيه المستحيل ممكنًا، وتراجع فيه يقين قديم، وانكسر النسق الواحد للمعنى. في هذا الواقع يغدو الإنسان مطالبًا بأن يعيد اكتشاف ذاته كل يوم، وإلا توارى خلف آلة تتقدم عليه، وتعيد تعريف ما يسمى عقلًا وإدراكًا وحقيقة. الذكاء الاصطناعي، بما ينطوي عليه من قفزات تقنية غير مسبوقة، لا يقتصر أثره على إعادة تشكيل أنماط العيش والعمل والتواصل، وإنما ينفذ عميقًا إلى بنية الوعي الإنساني، ويهز التصورات

المستقرة عن الذات، والعقل، والمعنى. إنه يوقظ أسئلة وجودية ظلت زمنًا طويلًا في سبات، ويدفع الإنسان إلى مساءلة موقعه في الكون، ومعنى أن يكون إنسانًا في عالم تتراجع فيه الحدود الفاصلة بين الطبيعي والمصنوع، والبيولوجي والاصطناعي.[26]

ويدعم "سميتانا" Smetana هذا التخوف بالإشارة إلى أن نشوء الوعي الرقمي قد يؤدي إلى لحظة فقدان السيطرة النهائي؛ حيث تتبنى الآلة أهدافا مستقلة تجعل الإنسان عرضة لـ خطر التخلف عن الركب. وردا على هذا التحدي، يرى المتحولون إلى الإنسانية بأن الاندماج مع التقنية هو الشرط الحتمي للبقاء.[27] وقد تجاوز هذا التوجه المرحلة النظرية إلى ممارسات عملية مثل حركة Grinder Movement، التي تعتمد على زرع "أجهزة السايبورغ" ذاتيا لتحسين القدرات الحسية للإنسان.[28] وبالتالي، تمثل فكرة الاندماج بالتقنية الذكية الخطوة التطورية التالية للمجتمعات الإنسانية لضمان مكانته في هذا النظام العالمي الجديد.

6. الأسئلة الوجودية حول مستقبل الوعي البشري:

بعيدا عن السيناريوهات الثلاث، تبرز إشكاليات عميقة تمس جوهر الإدراك الإنساني ذاته. فالسؤال لم يعد مقتصرًا على حدود السيطرة التقنية أو التكامل مع الآلة، بل يتجاوز ذلك إلى البحث في مايلي:

1.6. طبيعة الوعي التقني:

هل يمكن للذكاء أن ينتقل من المحاكاة البرمجية إلى الوعي الذاتي؟ يرى خليلي نسب أن المحاكاة، مهما بلغت دقتها، تبقى عاجزة عن الوعي الأصيل، لأن الذكاء الاصطناعي يعمل ضمن أطر حسابية تفتقر إلى الذاتية الوجدانية.[29] وفي الطرف الآخر، يرى "سميتانا" أن نشوء الوعي الرقمي أو التقني يمثل مأزقا قانونيا

وأخلاقيا؛ فإذا اعتبرنا هذه الكيانات واعية، فكيف سنفرق بين الإحساس الحقيقي وبين خوارزميات الألم المصطنعة؟

2.6. الهوية الشخصية وإشكالية رفع الوعي:

يشهد التاريخ التقني تحولا سوسيولوجيا جذريا حيث تم تغيير بنية التجسد ليصبح الجسد أكثر ميكانيكية وحسابية وأقل بيولوجية"[30]، مما يطمس الحدود بين الذات والعالم. وتبرز هذه الأزمة في تقنيات "السايبورغ" التي تهدد بنفي أصالة الخبرة عبر برمجة ذكريات اصطناعية.[31] ويتعمق هذا المأزق عند طرح فكرة رفع الوعي؛ حيث يحذر "سميتانا"[32] من أن الفصل بين العقل والجسد قد ينتهي بنشوء كيانات تملك كفاءة حسابية لكنها ميتة روحيا. وفي ذات السياق، يؤكد خليلي نسب أن اختزال الإنسان في قواعد بيانات قد يقرأ كنفي لما يعتبره الماهية الروحية، وهي عنده لا تقبل النسخ. من هذا المنظور، يتحول الارتقاء الرقمي إلى اغتراب عن الجوهر الإنساني. غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن مفهوم الماهية الروحية والجوهر الإنساني ليسا مسلمًا بهما في جميع المدارس الفلسفية. ففلاسفة مثل جان بول سارتر (الوجودية الإلحادية) يرون أن الوجود يسبق الماهية، أي أن الإنسان لا يولد بجوهر ثابت بل يصنعه من خلال أفعاله وخياراته. كما يرى ميشيل فوكو أن الإنسان كمفهوم ثابت هو اختراع حديث قابل للزوال. وبالتالي، فإن نقد الذكاء الاصطناعي من زاوية نفي الماهية يظل مشروعًا ضمن منظومة فكرية معينة، لكنه ليس التفسير الوحيد الممكن.

3.6. قيمة الوعي البشري:

هل سيظل للوعي البشري قيمة أنطولوجية فريدة؟ يرى النقاد أن الخطر الحقيقي لا يكمن في استبدال الإنسان فحسب، بل في تقزيم مفهوم الذكاء ليصبح مرادفا لـ معالجة وتحليل البيانات فقط.

ويؤكد خليلي نسب[33] أن الوعي البشري يتميز بخاصية الشهود–الإنسان مرجع المعنى –والقدرة على المعارف الحضورية، بينما تبقى الآلة حبيسة المنطق الصوري.

ومن جانبه، يحذر "سميتانا"Smetana [34] من تحول الوعي البشري إلى نسخة أقل كمالا في نظر النظم الخارقة، مما قد يؤدي إلى فقدان الإنسان لإرادته الحرة لصالح خوارزميات التحسين. ان قيمة الوعي البشري– من المنظور النقدي الذي تتبناه هذه الورقة – تكمن في كونه مصدرًا أصيلًا للمعنى، وليس بالضرورة الوحيد؛ فالآلة قد تقرأ مليارات الكتب في ثانية، لكنها لا تفهم معنى المعاناة، أو الحب، أو التضحية بالمعنى الذي نعرفه. هذا لا يعني أن الوعي البشري هو الملاذ الأخير أو أنه يمنح الكون معناه–فهذه أحكام ميتافيزيقية يتجاوزها نطاق هذه الورقة– ولكنه يعني، على الأقل، أن ثمَّة أبعادًا من التجربة الإنسانية لا تزال عصية على المحاكاة الخوارزمية، مما يمنح الوعي البشري قيمة خاصة تستحق الدراسة والدفاع.

7.خاتمة:

تؤكد الورقة البحثية أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد طفرة تقنية فحسب، بل تحول قد يمس بنية الوجود الإنساني ويعيد صياغة جوهر العلاقة بين البشر والعالم. واستنادًا إلى مراجعات نظرية وتحليلات سوسيولوجية، ونقاشًا مفاهيميًا تكشف الورقة أن حصر الوجود في منطق تقني، قد أدى إلى تقزيم الذكاء البشري ليصبح مجرد معالجة صماء للبيانات، مما ينفي عن الذات خاصية الشهود والقدرة على إدراك المعنى الذي تظل الآلة عاجزة عن محاكاته.

سوسيولوجياً، نقل التوغل الخوارزمي المجتمع من العفوية التفاعلية إلى التوجيه السلوكي، مما يهدد بتفكيك البناء التفاعلي وتحويل الإنسان إلى رقم قابل

للتنبؤ. التحدي الحقيقي لا يتعلق بكفاءة الآلة، بل بصيانة السيادة المعرفية للإنسان أمام سلطة الخوارزميات.

وعليه يمكننا القول أن صمود الإنسان أمام تحديات عصر الذكاء الاصطناعي مرهون بانتقالنا من موقف الاستهلاك التقني إلى موقف النقد المعرفي؛ فمن المنظور الذي تتبناه هذه الورقة فالوعي البشري سيظل هو البوصلة الأخلاقية والمصدر للمعنى في حضارة تقف على شفا التخلي عن هويتها الأصيلة لصالح حسابات رقمية تفتقد إلى قدرة إدراك المعنى.

8.المراجع والمصادر:

[1]. محمود حيدر. "ميتافيزياء العلم الذكي"، مجلة علم المبدأ، لبنان، العدد 14، 2025. ص ص 07-25.

[2].غنية طيبي. "الذكاء الاصطناعي: نحو آفاق جديدة لعصرنة التعليم العالي والبحث العلمي، تحديات ورهانات"، مجلة آفاق علمية، المجلد 17، العدد 2، 2025. ص ص 152-171.

[3].تيمجغدين نادية. "الإرهاصات الفلسفية الأولى لظهور الذكاء الاصطناعي"، مجلة القانون العام الجزائري والمقارن. عدد خاص، سبتمبر 2025.ص ص 100-112.

[4]. مهدي همازاده. "نقد النهج الشائعة في الذكاء الاصطناعي-تأملات نظرية استنادا الى الحكمة المتعالية-"، مجلة علم المبدأ، العدد 14، 2025. ص ص 74-93.

[5]. نفس المرجع، ص 76.

[6]. خشايار برومند. حسين الحسيني. "منهجية هايدغار في نقد التكنولوجيا العبثية-دحض وثنية الآلة-"، مجلة علم المبدأ، العدد 14، 2025. ص ص 126-149

[7]. بركات رابح. "التقنية المعاصرة بين جودة الحياة واغتراب الانسان، مارتن هايدغير نموذجا"، مجلة التدوين، 14(01)، 2022. ص ص 142-150.

[8]. عبد الجبار الرفاعي. اغتراب الهوية في زمن الخوارزميات. https://jabbaralrefae.com. 2026/01/11. 11.00

[9]. Bostrom, N. Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies. Oxford University Press. 2014.p22.

[10]. عثمان أمكور. مقابلة الجزيرة نت مع الفيلسوف نيك بوستروم."الذكاء الفائق: المسارات والمخاطر والإستراتيجيات". 2021/8/8.

https://www.aljazeera.net/culture/2021/8/8. 05/12/2025. 14.00.

[11]. Hongladarom,S. (2020). Shoshana Zuboff, The age of surveillance capitalism: the fight for a human future at the new frontier of power [Book review]. AI & Society.

[12]. Maria Eleonora Sanna, « Donna HARAWAY, Manifeste cyborg et autres essais. Sciences – Fictions– Féminismes », Clio. Femmes, Genre, Histoire [En ligne], 32 | 2010, mis en ligne le 31 décembre 2010 http://journals.openedition.org. 20/10/2025.11.00.

[13]. Li, Z. (2023). Research on the Impact of Artificial Intelligence Technology on Regional Industrial Structure Transformation. *Academic Journal of Business & Management*, 5(7), pp. 165-169

[14]. Munn, L. (2024). Digital labor, platforms, and AI. In Introduction to Digital Humanism .pp. 45–62.

[15]. نرمين مجدي. "الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي: الفرص والتحديات والتداعيات على الاستقرار المالي والمخاطر الأمنية في المنطقة العربية،" صندوق النقد العربي، سلسلة كتيبات تعريفية، 3 (2020)، الامارات العربية المتحدة. ص22.

[16]. Hongladarom,S. (2020). Shoshana Zuboff, Op.Cit . p1.

[17]. Beheshti, A., & Kerridge, I. (2025). Understanding the Artificial Intelligence Revolution and its Ethical Implications. Journal of Bioethical Inquiry, 22(3), 497–505.

[18]. Ibid, p. 495

[19]. Li, Z. pp. 165-169

[20]. يونغير، أندرياس، وأمينغاي، رالف. "الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: إطار مفهومي"، ترجمة: عبد الكريم أمنكاي .سياسات عربية، المجلد 13، العدد 74 ،2025. ص ص 119-142.

[21]. Smetana Vladimir Vasilievich. Existential Risks and Loss of Control in the Era of Advanced Artificial Intelligence.Digital Intelligence Research Institute, Moscow, Russia.2024. p-p 47-54.

[22]. خالدي فضيلة، بن ولهة توفيق. "المسؤولية الأخلاقية الجديدة لمواجهة انعكاسات التحديث"، مجلة دراسات اجتماعية وإنسانية، المجلد 11، العدد 03، 2022. ص ص 299-310.

[23]. Beheshti, A., & Kerridge, I.p p 497-505.

[24].خليلي نسب صادق. "الذكاء الاصطناعي الخارق. دراسة نقدية في ضوء الآيات القرآنية"، مجلة الدليل، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، المجلد 05 العدد29.2025.ص ص 106-135.

[25]. Ibid. p-p 47-54.

[26]. عبد الجبار الرفاعي. مرجع سبق ذكره. 2026/01/11. 11.00 .

[27]. Smetana Vladimir Vasilievich. Op.Cit . p-51.

[28]. Woodrow Barfield and Sayoko Blodgett-Ford, eds, Op.Cit, p. 37

[29]-خليلي نسب، صادق. مرجع سابق، ص ص 120-125.

[30]. Woodrow Barfield and Sayoko Blodgett-Ford, eds.Op.Cit, p. 16.

[31]. Ibid. p-30.

[32]. Smetana Vladimir Vasilievich. Op.Cit . p-p 49-52.

[33]-خليلي نسب، صادق. مرجع سابق، ص ص 120-125.

[34]. Smetana Vladimir Vasilievich. Op.Cit . p53.